آصف بن برخيا *سيف الله حسين الرواشده

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)

صاحبنا الذي عنده علم من الكتاب هو عند المفسرين آصف بن برخيا شيخ جليل عالم يهودي، فاق بقدرته وعلمه المستقيان من الكتاب والسماء قدرة ملك الجن وعلمه، ومن هذه الآية بالتحديد انبثقت ألف مسألة ومسألة وألف نظرية ونظرية، تبدأ في طبيعة الله وصفاته وطبيعة اتصال عالمنا بعالم السماء وماهية هذا العلم الذي حازه آصف، وكيفية حيازته، وقبل أن نبدأ هذه الرحلة الصعبة الشائكة بين ما قاله الأجداد في هذا الصدد وما وضعوه لنا في تراثنا الذي هجرناه أو هجّر عنا قصرا، وما نقلته لنا التراجم من علم حضارات المشرق و المغرب، نطلب من الحي القيّوم ذي الجلال و الإكرام أن يهدينا إلى الحق ويعلمنا من علمه ويفتح علينا ويوجد لنا نورا.

الدارس في الروايات الدينية وتفسيراتها للتاريخ والأحداث، يجد أبطالا يشاركون آصف هذه الميزة أو يفوقونه مكانة، مثل سيدنا سليمان وسيدنا الخضر وتاريخنا الاسلامي مليء بأصحاب الكرامات و الدعوات التي لا ترد و الفتح من السماء، والدارس للنظريات الفلسفية يجد ما يشبه هذه النماذج أيضا، ففي فلسفة نيتشه للإنسان الخارق تجده يطرق هذا الطريق أيضا و بالخصوص في مسرحيته (غوته) لما يصل بطلها الى أعلى درجات الكمال الانساني في ذاك العصر المتمثلة بالعلم وحصوله على درجة الأستاذية في علم (الكيمياء)، ومع كل هذا كان شعور النقص مازال ينهش فؤاده، ولم يجد محيدا عن طلب الكمال في مسالك أخرى، ولابد من الاشارة هنا أن مع اتفاق الغايتين في المثالين السابقين فقد اختلفت الوسيلة ففي المثال الاول طرق أبطال القصص أبواب الله، و في المثال الثاني طرق بطل المسرحية أبواب الشيطان، ومنذ ذلك العهد الى اليوم هذان هما المسلكان للباحث عن هذه القوى التي تحمل الانسان الى مراتب السيادة والعلم والقوة.

ولدرب السماء طرائق ومسالك أوفاها شيوخنا بحثا وكتابة وتفسيرا وتطبيقا، ومع اختلاف النظريات والتصورات لطبيعة السماء وعوالمها وكيفية اتصال الله بعالمنا، كان الاتفاق في طريقة حيازة هذه الكرامة والعلم، فكان تقوى الله و التقرب اليه دربك حتى تبصر بنور الله وتبطش بيد الله وتسعى بقدم الله، وكان تسامي عنصر الروح على عنصر البدن هو الوسيلة الفضلى و الاستعداد المطلوب لهذا الشرف العظيم، وأن تكون (ملاكا) في هيئة إنسان، وقد تفنن الاجداد في هذا بما نعرفه نحن اليوم عنهم من زهد واجتناب لملذات الدنيا ومغرياتها، وكان انقسام المسلمين بين فسطاطين لكل فسطاط منها تصور لطبيعة اتصال الله بعالمنا، فالاول ينادي بالسببية وهو ارتباط المسبب بسببه و المعلول بعلته وبهذا الفسطاط يكون العدم الذي كان قبل الخلق عدما محضا مطلقا مع قبول بعض شيوخه بنظرة شيوخ اليونان القديمة للعدم أنه كان يحمل صور الأصل للأشياء و المخلوقات وهو عندنا محراب الارواح الأزلي القديم، و الفسطاط الآخر الذي تسيّد صفوفه المعلم الثاني (الفارابي) والشيخ الرئيس (ابن سينا) نادى بنظريات

الفيض و الأفلاك انطلاقا من قاعدتين أولهما : أن الله بسيط وليس معقدا، وثانيهما : أن الثابت لا يصدر المتغير، فكان الفيض وأفلاكه هي المخرج لإسقاط و تفسير هاتين القاعدتين، بنسختيها المتشابهتين في الجوهر المختلفتين في بعض التفاصيل للفارابي وابن سينا، فقد قال الفارابي: إذا كان الواحد لا تصدر عنه الكثرة فالواحد قد يصدر عن الواحد، فيكون الذي صدر عن الله مباشرة هو واحد أسماه بالعقل الأول أو المبدع الأول ، وعنه صدر العقل الثاني، وصدر عن الثاني صدر العقل ثالث، وهكذا إلى العقل العاشر واهب الصور والذي صدر عنه العالم السفلي عالمنا الأرضي.

وبهذا يكون الفراغ المحض (العدم) الذي سبق الكون قد ملأ عند الفارابي بالعقول العشرة التي جعلها واسطة بين الله والعالم، ، وهذا يخالف نظرة الآخرين بحدوث العالم من العدم المحض بعلم الله وإرادته.

فعند الفارابي أن علم الله لذاته فاض عنه العقل الأول ويكون نوع الكثرة (كيفية صدور المركب من البسيط) كما يأتي :

أ–الثنائية: وهي آتية من تفرقته بين الماهية والوجود.

ب– ثلاثية: وهي آتية من الإدراكات الثلاثة المتخيلة للعقل، فهو:

١) يدرك المبدأ الذي فاض عنه، وهنا يفيض عنه بدوره عقل ثان خاص به

٢) يدرك ذاته وأنها واجبة الوجود لعلة، وهنا تفيض نفس الفلك الأول

٣) يدرك ذاته وأنها ممكنة الوجود، فيفيض عنه جسم الفلك الأول .

وعن العقل الثاني وبنفس التصور يفيض عقل ثالث وفلك ثان ونفس لهذا الفلك، وعن العقل لثالث يفيض عقل رابع وفلك ثالث ونفس للفلك الثالث، وهكذا تتسلسل عملية فيض العقول والأفلاك والنفوس، إلى أن نصل إلى العقل العاشر أو العقل الفعال، وهذا بدوره يدرك العقل الأول فتفيض عنه النفوس البشرية، ويدرك كل العقول قبله فتفيض صور الأشياء، وعند إدراكه لذاته تفيض عنه العناصر التي تنشأ عنها الأشياء.

والعقل العاشر هو الذي يتحكم في عالم الأرض عالم العناصر الأربعة، وبه تتصل العقول البشرية بعالم الغيب حتى تنكشف لها أسرار الكون وتطلع على الغيب وتتم سعادتها، وهي منزلة لا تصل إليها إلا العقول البشرية المستفادة، ويتم حصول العقل المستفاد إما:

أ) طريق الحكمة والبحث والنظر.

ب) طريق النبوة بواسطة الإلهام و العناية الربانية و الوحي.

والعقول المستفادة التي تستطيع الوصول إلى هذه المنزلة التي لا مطمح بعدها ولا مطلب، تأتي في طليعة العقول البشرية التي صنفها تصنيفا تصاعديا،على عكس ترتيب العقول السماوية، مبتدئا بالعقل بالقوة عند الطفل منذ ولادته، ثم العقل بالفعل، ويحصل بالتعلم والإحساس، ثم العقل المستفاد، ويحصل بالتعمق في البحث والتفكير والممارسة عند الحكماء، وبالرعاية الربانية و الاصطفاء عند الأنبياء، فالعقل الإنساني يمر إذا بالمراحل الثلاثة ليتصل بالعقول السماوية ويعلم أسرار الكون ويطلع على صور الأشياء قبل أن توجد.

أما ابن سينا فقال : لله علم ذاته ففاض عنه بسبب ذلك العقل الأول أو العقل المبدع، وهو رغم وحدته يشتمل على نوعين من الكثرة هي :

أ- العقل الصادر إما ممكن الوجود قبل وجوده «ماهيته»

ب- وإما واجب الوجود لعلة «وجوده».

وهذه الثنائية التي توصل إليها بسبب التفرقة بين الماهية والوجود تؤدي إلى كثرة أخرى ثلاثية يحتوي عليها العقل الصادر عن طريق إدراكاته فهو:

أ- إما أن يدرك الموجود الذي فاض عنه هو

ب- وإما أن يدرك ذاته وأنها واجبة الوجود لعلة

ج- وإما أن يدرك ذاته على أنها ممكنة الوجود.

وكل إدراك يؤدي إلى صدور شيء عن طريق الفيض، فعن الإدراك الأول يفيض عقل ثان، وعن الإدراك الثاني تفيض نفس الفلك الأول، وعن الإدراك الثالث يفيض جسم الفلك الأول، وبنفس الافتراض تفيض عن العقل الثاني الأمور الثلاثة (عقل ثالث ونفس للفلك الثاني و جسم للفلك الثاني)، وهكذا تتوالى عملية الفيض في ترتيب تنازلي إلى أن تنتهي عند العقل العاشر أوالعقل الفعال الذي يشرف على عالم الأرض، وبتآزره مع طبائع الأفلاك تفيض عنه المادة.

ويختلف أو يتميز العقل العاشر (الفعّال) هنا من حيث الإدراك ومن حيث ما يفيض عنه، فالعقل العاشر يدرك العقل الأول فتفيض عنه بسبب ذلك النفوس البشرية، وتفيض عنه صور الأشياء بسبب إدراكه للعقول المتوسطة، وتفيض عنه العناصر الأولية لنشأة الكائنات بسبب إدراكه لذاته وعلى أنها ممكنة الوجود، وقد حرم من إدراك ذاته على أنها واجبة الوجود لعلة، ومميز بإدراكه لكل العقول.

ففي تسلسل الفيض عند ابن سينا ترتيب عقلي يراعي منزال ما يصدر من تشريف ومنزلة وتفاوت، وذلك أن كل عقل تفيض عنه الأشياء الثلاثة باستثناء العقل العاشر (عقل و نفس للفلك و جسم للفلك)، وهذه الثلاثة متفاوتة في السمو لأن العقل أشرف من النفس والنفس أشرف من الجسم، وهذا التدرج في الاعتبار يتناسب مع إدراكات العقل المتفاضلة فيما بينها أيضا في السمو، فإدراك العقل للعقل الذي فاض منه أشرف من إدراكه لذاته وأنها واجبة الوجود لعلة، وهذا الإدراك بدوره أشرف من إدراك العقل لذاته على أنها ممكنة الوجود، وبهذا ناسب أن يفيض العقل عن إدراك الأول وتفيض النفس عن الإدراك الثاني والجسم عن الإدراك الثالث، وعلى هذا الافتراض يتم التناسق بين مستوى الإدراك وما يفيض عنه ويسهل تعليل التفاضل بين العقل والجسم، وبين إدراك المبدأ الأول وإدراك الوجود وإدراك الماهية، نجد الشيخ ابن سينا، ومن قبله الفارابي، يستلهم بعض أفكاره على الأقل من الفكر اليوناني، والتشابه بين النظرية الفيض وفكر أفلاطون جلي واضح لكل باحث في هذا المجال.

ومع ما يمكن أن يظنه القارئ من البعد بين هذه النظرية وبين التفكير و النظرة الاسلامية، لكن الامام الغزالي الذي قسم كتبه بين (المضنون على غير أهلها بها) وبين ما هو للعامة، كما هو دارج عند شيوخنا الأوائل لما قسموا العلم علمان، علم الخاصة وعلم السواد، أسقط هذه النظرية و فسر بها كثيرا من نصوصنا الشرعية في كتابه (معارج القدس) مع أنه هاجمها وهاجم الفلسفة عموما في كتابه (من كتب العامة) التهافت، وقد رد الشيخ الغزالي على من سياهجمه على هذا الازدواج في كتابه معارج القدس الذي كتبه مضطرا على حد قوله : كتبته لأن الزمان قد خلا من الوارثين لهذه الاسرار. وأنه جعله للصفوة فقط وقد وجه لهم تحذيرا في آخر الكتاب حيث قال: ثم إني حرمت على جميع من يقرؤه من الاخوان ان يبذله لنفس شريرة أو معاندة أو يطلعها عليه أو يضعه في غير موضعه فمن منح الجهّال علما أضاعه ومن منح المستوجبين علما فقد ظلم الأسرار. ونرحل بالمشكك بنسبة الكتاب الى الشيخ الغزالي خاصة اذا قرأ (التهافت) الى زاوية لابن تيمية يقول بها لتلاميذه : وأما المضنون به على غير أهله، فقد كانت طائفة من العلماء يكذبون ثبوته عنه، وأما أهل الخبرة به وبحاله، فيعلمون أن هذا كله كلامه، لعلمهم بمواده وقوله ومشابهة بعضه لبعض.

وقد قسم الغزالي كتابه على محاور عدة، منها (الوحدة و البساطة) ويكتب فيه أن الواحد الحق هو الله سبحانه ويكون التركيب منفيا عنه بكل وجه، أما سواه فلا يخلو من تركيب حتى العقل الاول (المبدع) لا يكون واحدا صرفا بل فيه اعتباران، أولهما عقله لذاته، وثانيهما عقله مبدأه وبهذا ولهذا تصدر منه الكثرة عن الواحد. ويستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم، : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ : " أَقْبِلْ " , فَأَقْبَلَ , ثُمَّ قَالَ لَهُ : " أَدْبِرْ " . فَأَدْبَرَ , فَقَالَ : " وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ , بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي , لَكَ الثَّوَابُ وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ " وهنا تكون أقبل أي أقبل حتى تستكمل بي، وأدبر حتى يستكمل بك جميع العالم دونك.

و المحور الآخر هو العقول و الأفلاك ومبدأ الازدواج، ويكتب فيه : أن جميع ما يحدث في العالم العنصري منوط بالحركات السماوية وحتى الاختيارات و الارادات، فجميع الاستعدادات تابعة للحركات السماوية وهذه مستندة الى اختيارات النفوس الفلكية، والكل يستند الى العقل الالهي المستعلي على الكل، فالجود و الكرم الالهي بواسطة العقول و النفوس و الحركات السماوية يعطي كل مادة استعداداتها.

و هنا لابد من الاشارة الى أن جمهور المسلمين يسمي هذا العلم، بعيدا عن النظريات بعلم (الهيئة) التي اشتهر به شيوخ بكرامات عظام وحتى الشافعي يروى عنه لما كانت زوجه في مخاضها تلد ابنته نظر الى السماء ليدرس هيئة نجومها فأخبر من كان حوله بأوصاف الوليد الجسدية كاملة، وانه اختص هذا العلم بصفوة تلاميذه خوفا من الفتنة.

و في الازدواج قال الغزالي استنادا الى الذكر الحكيم (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)، بين العقل و النفس ازدواج، كما بين القلم و اللوح، ومواليد هذا الازدواج الروحانيات من العقول والنفوس، وفي مراتب العقول كتب أن العقل الفعال (العاشر) وهو الروح القدس (جبريل) الذي قيل انه يسكن آخر الافلاك (فلك القمر حول الارض) وهنا لا محيد عن الإشارة لظن بعض مشايخنا ان القمر هو بعض تجليات جبريل يخرج عن مادته اذا خرج الناظر له عن أسر بدنه ونظر اليه بعين النفس المطمئنة وقد أسقط البعض و فسر اختراع الخوارزمي للجبر على أنه فيض من جبريل ولذلك كان الجبر. وقد فسر الغزالي وجود

هذا العقل وألبسه لباس الشرع استنادا الى الآيات)علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى).

و لشيوخنا الراسخين في العلم و الوجدان و التاريخ و التراث اجتهاداتهم هذه التي ذكرناها و غيرها ولهم أجر المجتهد الأمين أخطأوا أم أصابوا، فلا ريب في إخلاصهم النية في كل هذا وهم بهذه الهمة و العقلية قد سادوا العالم بمناهجهم التي شكلوا عليها حياتهم وأفعالهم لا بما نحاول أن نفعله اليوم من استرجاع للماضي من دون مراعاة لخصوصية الحاضر وحتى ما استرجعناه كان استرجاعا ميتا استجلب ظاهر الافعال وترك العقيدة التي كانت تسكن فيه سكنى الروح بالجسد، ومع اختلاف النظريات على الآلية و التصور للارتباط بين عالمنا و الله، اجتمع الجميع على وجود هذا الارتباط وعلى كيفية الوصول اليه، وقد اختلفت طرق حيازة هذا العلم السماوي مثل علم الغيب مثلا بين المصطنع منها مثل علم الهيئة (النجوم) وعلم العرافة و التطيّر وغيرها مما بقي الى اليوم موجودا في عالمنا وعلم الفراسة (كفراسة المؤمن) وكرامات الله لأهل الله، وقد ذكر في أخبار الخلفاء وقصورهم أن الوليد بن عبد الملك اختلفت عليه مسألة، فأشار اليه العلماء بقراءة سورة الفاتحة ومن ثم الاخلاص ومن ثم الآية ٥٢ من سورة الانعام وبعدها بفتح القرآن الكريم من غير قصد لصفحة معينة وقراءة السطر السابع في الصفحة اليمنى لينظر بها الاشارة و التوجيه فقرأ (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فجعل المصحف الشريف في السقف ورماه بالسهام حتى تمزق وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوماً حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يكن إلا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده!

أو تجد أخبار من قضى العمر يبحث عن اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به آجاب الدعاء ، وكان ارتباط صلاح هذه التجارب بصلاح افرادها وعلو أرواحهم وقربهم من الله شرطا دائما، ولم يتوقف الأجداد بالنظرة الى الاتصال بين الله و العالم وهذا العلم السماوي عند أخبار الغيب او الكرامات لأهل الله بل نسبوا له التفوق العلمي والاستباق في المجالات العلمية أيضا الى هذه الصلة فالشافعي مازال يقول:

شكوت الى وكيع سوء حفظي............فأرشدني الى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور............ونور الله لا يهدى لا عاصي.

كان هذا منهجهم في البحث العلمي و الاقتصادي و حتى التقدم الحضاري بهذا سادوا الامم، ويبقى السؤال أين نحن من تراثنا وما ترك لنا الأجداد من هذه الكنوز؟ وأين نحن من هذه العقليات المجتهدة العبقرية؟ وأين نحن من سيادة العالم؟ والأهم من كل هذا أين نحن من الله؟

والله كان أبدًا من وراء كل مقصد.

==

مصطفى الهادي

قدمّنا في البحث السابق ما يتعلق بشخصية آصف بن برخ...يا في الكتب القديمة خصوصا التوراة التي كانت بعض نصوصها معاصرة لتلك الفترة فقدمت لنا رؤية مشوشة ولكنها كافية لخلق صورة عن هذه الشخصية تزيل الغموض الذي صاحبها .

اليوم نُقدم وجهة نظر الإسلام في هذه الشخصية بعيدا عن بعض الأراء الغريبة التي عندما عجزت عن تفسير قدرات (آصف) نسبت إليه السحر فالمسلمون اصدروا له كتابا سحريا لم يذكروا من أين جاؤوا به، والغربيون أيضا نسبوا السحر له مستفيدين من كتب اليهود (١)، وبما أن شخصية آصف بن برخيا لم يتم طرحها من خلال بحث شامل كامل بل وجدنا ان كل ما تم ذكره عن هذه الشخصية الفريدة أحاديث وروايات متناثر هنا وهناك اغلبها اسرائيلية ، او من خيال المؤرخين. ولكن مع ذلك فإن البحث في آيات القرآن وبعض التفاسير الموضوعية منحنا فرصة لنُسلط الضوء على هذه الشخصية الفريدة التي اقترن ذكرها دائما بذكر الامام علي بن أبي طالب وآل البيت عليهم السلام .

في قصة نبي الله سُليمان يمر القرآن على ذكر شخصية لا يذكر اسمها كما في سورة النمل آية ٤٤ حيث يقول (قال الذي عنده علم من الكتاب). وترك القرآن المجال للنبي والمفسرين من بعده الكشف عن جزئيات هذه الحدث الذي أرّخهُ القرآن .

ففي تفاسير أهل السنة فقد جاء في تفسير الجلالين قوله : (آصف بن برخيا كان صدّيقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعا به أُجيب). في هذا النص يتفق الشيعة مع السنة في أن آصف امتلك فعلا قدرات مميزة قالوا في تفسيرها بأنه امتلك (الإسم الأعظم) وعند الرجوع إلى التوراة وتفحص المزمور الذي كتبهُ آساف بن برخيا نجد آساف يُشير إلى ذلك حيث يقول آساف في المزمور (الزبور) .18 :83حيث يقول في هذا النص: ((ويعلموا ان اسمك يهوه وحدك العليّ على كل الارض)). فآساف هنا يذكر بأن إسم الله الأعظم النافذة قدرته على كل الأرض هو (يهوه):

على ما يبدو فأن النطق بهذا الإسم يكون مصاحبا لبعض الأدعية لكي يعمل، كما يلوح ذلك من خلال الاستمرار في قراءة النص في المزمور المذكور. وهذا ما نراه أيضا في تفاسير المسلمين وخصوصا أهل السنة حيث ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، الإصدار ٢،٠٢ – الجزء ١٣ في تفسير سورة النمل الآيات: ٣٦ 40 – حيث يقول : ((قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. قال: أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل، وكان صديقا يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب وهو بلسانهم، أهيا شراهيا. ((

وقال الزهري: أن الكلمات التي دعى بها الذي عنده اسم الله الأعظم (يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ايتني بعرشها فمثل بين يديه .(

وقال مجاهد: (دعا فقال: يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام)

وقال السهيلي: الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان، وكان عنده اسم الله الأعظم من أسماء الله تعالى.(

وذكر في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني المجلد السادس كتاب أحاديث الانبياء باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (ووهبنا لدواد سُليمان نعم العبد) قال البخاري : الذي عنده علم من الكتاب، وهو آصف بن برخيا .

وقد ذكرنا في البحث السابق (ج١) بعض أحدايث الشيعة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام حول شخصية آصف بن برخيا وامتلاكه للإسم الأعظم . فلا حاجة لتكرارها .

وذكر الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الجزء ١٩ من تفسير سورة النمل القول في تأويل قوله تعالى: (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال الطبري : حدثنا ابن حميد، عن ابن إسحاق: قال عفريت لسليمان أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقوي أمين. فزعموا أن سليمان بن داود قال: أبتغي أعجل من هذا، فقال آصف بن برخيا، وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى: (أنا) يا نبي الله (آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك).

من هذه المحاورة يتبين لنا أن نبي الله سُليمان كان قادرا على الاتيان بعرش بلقيس ، ولكن أمام هذا الجمع من الجن والانس والطير وبقية المخلوقات أراد سُليمان أن يُشير إلى من يخلفه من بعده فعمد إلى اجراء هذا التنافس الذي فاز فيه وزيره آصف بن برخيا .

كل ما ذكرناه آنفا يؤكد وبصورة قاطعة صدق القرآن من أن (آصف أوأساف بن برخيا) كان معاصر لنبي الله سليمان عليه السلام.وهذا ما ذكرته التوراة حيث جاء في سفر أخبار الأيام ٦ : ٣٩ : (بنى سُليمان بيت الرب فقاموا على خدمتهم حسب ترتيبهم هؤلاء هم القائمون .....آساف الواقف عن يمينه. آسافُ بن برخيا بن شمعي). وقوله هنا في هذا النص (الواقف عن يمينه) تعني أن له الزعامة الكبرى والادارة العظمى في خدمة بيت الله وهذا في عرف بني إسرائيل يعني خلافة نبي الله سليمان وولايته من بعده على الناس .

بحثت في المصادر الإيرانية عن شخصية آصف بن برخيا فوجدت أن بعض من بحث في هذا الباب يقول بأن شخصية آصف بن برخيا هي شخصية (الخضر) (٢) العبد الصالح الذي امتلك الإسم الأعظم وعاش طويلا والمقال منشور بتاريخ السبت (شنبه ١٣٨٩/١٢/٢١) بالتاريخ الفارسي .

الشيء الذي وجدته من خلال بحثي في مختلف المصادر أن هناك تشابها بين شخصية آصف بن برخيا وشخص الإمام علي عليه السلام من حيث الظلم الواقع عليهما من قبل صحابة سليمان ومحمد عليهما السلام ، الإثنان تم اقصائهما عن الاماكن التي عينها لهم الله ورسوله. فآصف بن برخيا كان وصيا لسُليمان شجاعا حازما صارما حكيما والاختبار الذي اجراه سُليمان لوصيه امام الناس كان لهذا الغرض لكي يعرف الناس فضل آصف وقدرته ومزاياه ولكن مع ذلك فإن هذا الشعب العنيد انقلب على اعقابه وقام بتعيين (يربعام) خادم سُليمان ، وهكذا نرى شخصية آصف بن برخيا في شخص علي بن ابي طالب (ع) الذي ايضا كان شجاعا حازما صارما حكيما وكذلك فإن عملية تنصيبه في غدير خم كانت اختبارا للامة وارساله لتبليغ سورة براءة واقصاء الاخر ايضا كان اشارة إلى علي بن ابي طالب على انه الاكفأ والأليق والافضل لهذا المقام.

التوراة حكت لنا قصة الانقلاب بكل أمانة حيث ذكرت بأن هناك من اقصى آصفا ونزا على خلافته بعد رحيل سُليمان والقائم بذلك هو (يربعام) خادم سُليمان بالتعاون مع اليهود. والتوراة واضحة في ذلك حيث ورد في سفر الملوك الأول)) 43 :11ويربعام (عبد) سليمان. واسم أمه صروعة،رفع يده على الملك . وطلب سليمان قتل يربعام، فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر)). النص هنا يقول وبكل وضوح بان يربعام كان عبدٌ لسُليمان حاول ان يغتصب السلطة (رفع يدهُ على المُلك) ولكن سُليمان شعر بذلك فحاول قتل يربعام دراً للفتنة ولكن يربعام هرب إلى عدو سليمان شيشق ملك مصر .

فمع هذا الوضوح في النص من أن يربعام كان خدام سُليمان، إلا أن اليهود جعلوا منهُ ملكا عليهم خلفا لسُليمان: ((ولما سمع يربعام وهو بعد في مصر، لأنه هرب من وجه سليمان ، وأرسلوا فدعوه ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع، أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملكوه على جميع إسرائيل)). سفر الملوك الأول ١٢: ٢٠.

عند موت سُليمان ومن اجل قطع الطريق على (آصف بن برخيا) وحتى وصول (يربعام) الخادم قام اليهود بتعيين ابن سُليمان (رحبعام) مع علم اليهود بأن رحبعام هذا إنسان (سفيه وسخيف) لا رأي له ولكنهم اصروا على ان ينتخبوه ملكا عليهم بدلا من آصف بن برخيا الحكيم الشجاع. والسبب انهم وضعوا شروطهم على (رحبعام) إذا وافق عليها جعلوه خليفة عليهم . كما فعل بعض اصحاب محمد (ص) في الشورى عندما وضعوا شروطا على علي بن أبي طالب لكي يجعلوه خليفة عليهم حيث طلبوا منه ان يعمل بسيرة الشيخين وأن لا يُغير من سيرتهما شيئا فرفض ذلك .

ومن الطبيعي ان يقبل رحبعام ابن سُليمان بهذه الشروط وهو يرى امامه ملكا عريضا اسسهُ أبوه سُليمان ، فقام بالتعاون مع اليهود على اقصاء آصف بن برخيا والجلوس على كرسي الخلافة،وهو غافل عما يُحيكهُ له اليهود من مؤامرة، وإليك رأي التوراة بشخص رحبعام كما نقرأُهُ في سفر يشوع بن سيراخ ٤٧ : ٢٧))واستراح سليمان مع آبائه، وخلف بعده ذا سفه عند الشعب من نسله، رحبعام السخيف الرأي، الذي بعث بمشورته الشعب على التمرد)).ونجحت المؤامرة وتم اقصاء (رحبعام ابن سُليمان) بعد مجيء يربعام وتعيينه خليفة عليهم لأنه أطوع لهم من آصف بن برخيا الذي كان خشناً في ذات الله.

والسؤال الذي يدور على الشفاه دائما ، يا ترى هل فعلا التاريخ يُعيد نفسه ، أم أن الإنسان يُعيدهُ مستفيدا من تجارب الأمم التي سبقته فاختار مع الأسف اسوأ تجارب الأمم وبذلك حرم هذا الانسان نفسه وحرم الناس من خيرٍ كثيرٍ لو أنهم قبلوا بمن اختاره الله ورسوله، وانا أرى ان عملية الاقصاء هي ضمن المخطط الشيطاني الذي يُحاول جاهدا أن يحكم الأرض ويكون خليفة بدلا من آدم وأبناءه الذين نصبهم الله مع علمه بأن من يُقصيهم هم أولى منه لما يتمتعون به من مزايا وهبها الله لهم. وهذا ما نراه في قول عمر بن الخطاب عندما قام بتنصيب ستة اشخاص للشورى كان بينهم علي بن أبي طالب حيث نظر عمر إليه وقال : (لو ولوها الأجلح - يعني عليا - لسار بهم على المحجة ولأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.(

وهكذا حصل الذي أرادهُ المنحرفون مع أن سليمان (ع) قام بتنصيب مجموعة منتخبة من صحابته لخدمة الهيكل وحراسة تابوت العهد حيث جعل آصف بن برخيا على رأس هذه المجموعة قائدا لهم في اشارة إلى استحقاقه لمرتبة الرئاسة .ولكن اصحابه أيضا نكثوا العهد وانقلبوا على اعقابهم وانتخبوا رئيسا من بينهم كما يقول النص في سفر نحميا ٩: ١٧ ((وأبوا الاستماع، وصلبوا رقابهم .وعند تمردهم أقاموا رئيسا ليرجعوا إلى عبوديتهم.((